مقدمة حول لغة الحوار

أجبرتني بعض شخصيات الرواية مثل نَيْلة وراشد ومريم على استخدام اللهجة العامية هذه المرة لأن العربية الفصحى لم تناسبها كثيراً، لذلك - ولأول مرة منذ بدأت الكتابة -ارتأيت أن أجرب استخدام العامية الخليجية في الحوار، وقد راعيت في كتابتها أن أكتب الأحرف التي تبدل إلى أحرفٍ أخرى على طبيعتها العربية مثل كاف المخاطب للمؤنث التي تلفظ ch كما في كلمة cheese الانجليزية والتي يحاول كثير من الكتاب التعبير عنها بالجيم أو الجيم بثلاث نقط، ولكني فضلت كتابتها كافاً كأصلها العربي، وللقارئ الخليجي أن يقرأها كما تلفظ في الخليجية تماماً دون أن يلتبس الأمر على غير الخليجي ويظن أنها كلمات أخرى لا يعرف معناها، وكذا الحال بالنسبة لباقي الأحرف التي تلفظ بشكل مختلف في اللهجة الخليجية مثل الجيم التي تنقلب في بعض الأحيان إلى ياء والقاف التي تلفظ قافاً في كلمات مثل "يقدِّر" وجيماً في كلمات أخرى مثل "قدّام" كما تلفظ مثل الجيم المصرية في فئة ثالثة من الكلمات مثل "قال"، كلها مكتوبة بأحرفها الأصلية وعلى الخليجي أن يقرأها بلفظها الخليجي ليستمتع بالبعد الواقعي الخليجي فيها.

أما النقص أو الزيادة في الأحرف تبعاً للهجة الخليجية فقد تغاضيت فيه لأنه يحتفظ للكلمة بشكلها العام المعروف في العربية فلا يلتبس الأمر على القارئ العربي، وعموماً فقد حرصت على عدم استخدام الكلمات الغريبة على غير الخليجي إلا فيما ندر وفي هذه الحالة حرصت على كتابة مرادفات لها في السياق نفسه بحيث تفهم في النهاية من السياق فقط وذلك تجنباً لعمل حواشي تخرج القارئ من جو الرواية.

هذه تجربة لأسلوب جديد في كتابة العامية الخليجية لا أعرف إن كان هناك من سبقني إليه، والهدف منه إضفاء المذاق الخليجي دون تشويه لهجته بإخراجها من أصلها العربي.

وبالمناسبة فاسم نَيْلة يكتبه البعض نجلاء والبعض نائلة وفق تفسيرهم الخاص لمعناه وأصله العربي، ولكني أكتبه هنا نَيْلة كما يلفظ في الخليج تماماً لأني وجدت له أساساً في العربية الفصحى، إذ يعني المكسب الذي يناله الإنسان، وبهذا يكون الاسم الخليجي مرادفاً تقريباً لاسم "منال" المعروف في الدول العربية الأخرى، وتمسكت بهذا المعنى - وأرجو ألا أكون مخطئة- لأنه المبرر الوحيد لكتابة هذا الاسم الخليجي اللطيف كما يلفظ تماماً.

المؤلفة

دنیانا

١٢ أين أنتِ؟

جلست هند متأففةً بعد مناقشةٍ غير مجديةٍ مع المديرة وبدأت تعدُّ الدفاتر لتصحيحها، وفي هذه اللحظة دخلت سارة مسرعةً وبيدها جريدة.

ليش هنّادة مهمومة اليوم؟ أكيد كنتي في مناقشة حامية الوطيس مع.. المديرة؟

اتركيني لهمي يا سارة ولا تفتحين الموضوع من فضلك..لايعة كبدي من الكلام.

عندي لك مفاجأة يمكن تطلعك من هالمزاج العكر.

ما أظن يا سارة.

شوفي.

"زهرة البراري الأليفة، أين أنت؟" شنهو هذي؟

قولي **من** هذي؟ عرفتيه؟

حدقت هند في الوجه النحيف الذي ترافق صورته المقال ثم ابتسمت بعفوية:

تذكرت ، هذي الرجّال اللي شفناه في دخان، ما كنت آعرف انه يكتب في الجريدة، هو يكتب من زمان؟

ما ادري، أول مره أشوفه اليوم.

همت سارة باستعادة الجريدة ولكنها وجدت مقاومةً من كفّي هند اللذين أطبقا على الجريدة وهي تقول:

خليني آقرا المقال.

بس لازم أرجع الجريدة حق عايشة، هذي جريدتها.

آنا باوديها لها عقب ما اخلص.

والتفتت بجسدها كله إلى ناحيةٍ معاكسةٍ لسارة كإشارةٍ مفادها: "دعيني أقرأ في هدوء!" وأخذت تقرأ المقال بتمعّنٍ شديدٍ لم يحظ به مقالٌ آخر لديها من قبل...

"زهرة البراري الأليفة، أين أنت

الانتماء يعني التصاقنا بشيءٍ ما، يعني أن نشعر أننا وهذا الشيء عنصران يجمعنا شيءٌ تدلُّ عليه أشياء كثيرة. هذه الأرض التي عشنا عليها حياتنا تمُدّنا بهذا الشعور، شعور الانتماء إليها. والنباتات التي تنبت فيها أيضا منتميةٌ إليها، ونحن والنباتات عناصر مختلفةٌ منتميةٌ إلى هذه الأرض ومنتميةٌ إلى بعضها بعضاً..."

"في طفولتي كنت أرى في حديقة منزلنا زهرةً صغيرةً تشكّل جزءاً من ذكريات الطفولة الأولى، وجزءاً من انتمائي لهذه المنطقة..."

"عندما أبحث الآن في المشاتل لا أرى إلا أزهاراً فاخرة أكثرها من بيئات غنيةٍ بالزهر وبعيدةٍ عن صحرائنا هذه التي ننتمي إليها."

"ولأنني كنت صغيراً جداً لم أعرف اسم تلك الزهرة، أذكر منظرها، وعندما أستحضر هذا المنظر يأتي إلى أنفي شذاها الرقيق، ولكني لا أعرف اسمها. عندما بدأت رحلة البحث عنها علمت أنها ربما كانت من عائلة القرنفل أو من عائلة نباتٍ صحراويٍّ يدعى السنط أو السَلم، ولكنها ليست سنطاً أو سلم، إنها زهرةٌ حضريةٌ رقيقةٌ لا تدخلها خشونة نباتات الصحارى من قريبٍ أو بعيد، لذلك وحتى أعرف اسمها وأجدها فسأطلق عليها اسم "زهرة البراري الأليفة"..."

هنا تبتسم هند وتلتفت إلى صديقتها لتعلّق على بعض ما قرأت ولكنها لا تراها إلى جانبها، لقد كانت تجتاز الباب وعلى ذراعها كتابها ودفترها، فعادت إلى المقال تكمله بهدوءٍ وفي داخلها بهجةُ من وجد شيئاً يبحث عنه..

عندما انتهت الحصّة واجتمعت بسارة جعلتها تقرأ المقال، ولكنّ غريزة سارة مختلفةٌ لذلك فقد كوّنت فكرةً لم تكوّنها هند التي تساءلت:

اشلون شكل هذه الزهرة؟ أتمنى اعرف الزهرة اللي يدورها، عرفتيها؟

ابتسمت سارة وردت بتهكم:

ما اظن انه يدوِّر زهرة.

اش تقصدين؟

وتورد خداها إذ التقطت معنى كلام سارة وصمتت، ولكن سارة ضحكت بمكر:

انتي تعرفين اللي اقصده وإلا ما كان وجهك احمّر، أكيد هذي رسالة موجهة لبنت، يمكن موجهة لك انتي.

تورد خدا هند مرةً أخرى ثم أمسكت بيد سارة:

انتي مدرسة علوم، واللي يعافيك دوري هذه الزهرة، القي لنا السلم عشان نشوفها، يمكن نتعرف على الزهرة اللي يقصدها إذا كانت تشبهّا مثل ما يقول.

وشنهو اللي بيتغير في المسألة إذا تعرفنا على الزهرة؟

على الأقل بنعرف هو يدور زهرة والا انسانة.

صدمت سارة عندما رأت زهرة السلم وقبحها في أحد كتب المكتبة وأخذت المرجع معها إلى غرفة المدرسات لتصدم به هند بعد أن تنتهي من حصتها.

ولكن هند لم تصدم لأنها تذكرت في الحال تلك الزهرة الجميلة.

عرفت اش يقصد، كان في بيتنا القديم منها... حتى أذكر عطرها الخفيف، أذكره لحد ألحين، وكان لونها أما أبيض أو بنفسجي فاتح.

ازدادت صدمة سارة فابتسمت لها هند:

انصدمتي لأن استنتاجك طلع غلط؟

بصراحة صدمني أكثر من شي، أولا شنهو هذي الذوق الكريه اللي عنده، واشلون يتكلم بكل هذي العواطف عن زهرة مثل هالزهرة؟

لا، ذوقه مب كريه، الزهرة هاذيك أجمل من الزهرة الصحراوية.

ومع ذلك يا هند فآنا مقتنعه انه يرسل رسالة حق بنت. ليش يخاطب زهرة؟ ولو كانت موجودة كان هان الأمر، لكنها منقرضة!

ضحكت هند ولم تعلق بشيء، يجب أن تتظاهر أمام سارة أن الأمر قد انتهى. وخطت إلى درسها وهي مليئةٌ بكلمات المقال، ثم ها هي والسيارة تقف أمام الإشارة الحمراء تبحث عن بائع الصحف بعينيها وتتلفت يميناً وشمالاً إلى أن رأته عائداً من الرصيف الآخر، فأشارت إليه ثم أخذت تبحث عن ريالين في حقيبتها، وما إن وجدتهما ورفعت رأسها ثانية حتى كان نصف ذراع بائع الصحف يمتد أمامها بالشرق.

لا الراية.

فانطلق يجري ثانية وهي تترقب الإشارة التي اصفرت فجأة، وبدأت السيارات في التحرك، ولكن النصف ذراعٍ النحيف امتد ثانيةً داخل السيارة بالجريدة والتقط الريالين، فتنفست هند الصعداء ووضعت الجريدة فوق كتبها وأخذت

تنظر إلى الأمام وكأنها لم تفعل شيئاً، وكانت مليئةٌ بكلمات المقال الذي قرأته في البيت ثانيةً وثالثة.

بعد يومين يأتي فيصل ليزور أهله ويقول لأخته فجأة:

تذكرين أخو صديقتك اللي وصيتيني عليه؟

ماجد الحمدان؟

وإذ نطقت الاسم تذكرت في الحال أن كاتب المقال –ومن ثم بطل يوم الرحلة – أيضاً اسمه ماجد الحمدان. أكملت وهي تحاول إخفاء اضطرابها لاكتشافها أن هذا هو من كلّمته عنه.

اش فيه؟

بدأ يكتب في الراية، طلع مقاله الأول من يومين.

إذن فقد كان هو! كيف لم تتذكر الاسم عندما رأته في الجريدة، ويكمل فيصل:

هو طبعاً مبتدئ في الكتابة، الله أعلم بينجح والا لا.

ثم يضحك كمن تذكّر شيئاً:

الغريب في الموضوع إنَّ... آنا قلت لك عن بداية مشروع الكتابة؟

لا، ما أذكر.

في البداية يوم بغى يكتب مقالات عن البيئة طلبوا منه يكتب خواطر، وهو حس بالإهانة ورفض رفضاً باتاً، واللي ضحكني ألحين ومستغرب له جداً إنَّ موضوعه اللي نشره خواطر تقريباً.

سرحت قليلاً وهي تتذكر كلماته التي حفظت كثيراً منها عن ظهر قلب.. ها هو أمرٌ جديدٌ يحتاجُ إلى استيعاب.

كانت فرحة هند باكتشافها أن ماجد يعمل مع أخيها لا توصف. شعرت أنه قريبٌ منها، في متناول يدها ومع ذلك فما أبعده! ولكن ازداد شعورها أنهما سيلتقيان أو سوف يلتقيان، لا يهم السوف المهم هو حدوث اللقاء، إنهما حبتا رملٍ على وشك الالتقاء في أضيق جزءٍ من الساعة الرملية، لقد أصبحا على مقربةٍ من هذا المضيق، ولكن هل يلتقيان فعلاً، وان هما التقيا هل سيحدث ما يوقف تدفّق الرمل القسري وتباعد حباته عندما يصلان أم أنهما سيتفرقان حالما يجتازان ذلك المضيق؟ ما الذي تخبؤه الأيام يا ترى؟

"لقد شعرت بحبٍ كبيرٍ لهذه الزهرة عندما رأيت صورتها خلفي وخلف أصدقائي ونحن جلوسٌ أمام شجيراتها.."

هل يعقل أن يتحدث رجلٌ عن زهرةٍ بكل هذه المودة؟

"شذاها الهامس ولونُها الرقيق ما زالا ينسجان طيفاً جميلاً في مخيلتي."

أتراه يعنيني كما تقول سارة، إنها أعلم مني بهذه الأمور...

وتزداد تحديقاً في الكلمات وتزداد قناعتها تارةً وحيرتها أخرى حتى دست بالجريدة في مكانٍ غير بعيدٍ بين كتبها.

"وتقتُ إلى الوصول إليها حتى أضحت كالحلم المسيطر برقّته وشفافيته.."

أنّى لهند أن تقاوم كل هذه الكلمات التي تظهر أمامها حتى بعد أن تترك الجريدة، أنّى لها ألا تراها رسالةً وكل ما فيها يشعرها بقوةٍ مدويةٍ أنها رسالةٌ مفتوحةٌ إلى امرأة... إليها.

"زهرة البراري الأليفة، أين أنتِ؟"

* * *

ها هي الأرضية؛ قطعةٌ كبيرةٌ خضراء. على هذه القطعة سيقوم البيت الجميل. البيت به نوافذ زجاجيةٌ حوافها حمراء، وبه حديقةٌ بها أزهارٌ صغيرةٌ وشجرةٌ باسقة، مكانها واضح.. ها هنا يجب أن تكون، والآن إلى البناء..

بماذا نبدأ؟ بالباب الأسود الكبير أم الجانبي الصغير؟

تُقلّب الطفلة أكوام القطع البلاستيكة الصغيرة. تتناثر هذه وتنتشر محتلةً مساحةً أكبر على الأرض. تعتمد على ركبتيها وتمدُّ ذراعها اليمنى لتصل إلى الباب الأسود الذي قفز أثناء التقليب. تتردد في وضعه، لا تعجبها فكرة أن تبدأ بالباب..

الباب يجب أن يؤدي إلى شيء، لذلك يجب أن يصنع الشيء الذي سيؤدي إليه الباب قبل أن يصنع الباب. الباب الفخم الجميل الذي لا يؤدي إلى شيءٍ خدعةٌ لا تدوم طويلاً.

Delalkhalifa.com